٣

تعويد الأبناء مداومة ذكر الله والتقرب إليه

- تعويد الأبناء مداومة ذكر الله فى كل المواقف.
- التعرف على الله لتحقيق محبته.
- التقرب إلى الله لنيل محبته.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث
تعويد الأبناء مداومة ذكر الله والتقرب إليه

مقدمة:

إن من عوامل السمو الروحى وأسبابه مداومة ذكر الله. فمن داوم على ذكر الله صفت نفسه ورق قلبه وسمت روحه... كما أن فى مداومة ذكره سبحانه دليل على محبته. فمن أحب شيئًا داوم على ذكره، باطنًا وظاهرًا... وفى مداومة ذكره سبحانه سبب لامتثال أمره واجتناب نهيه، وسبب لزيادة القرب منه سبحانه، وتوثيق الصلة به عز وجل.

وكلما تقرب العبد إلى ربه، نال رضاه ونال حبه، ومتى نال العبد رضا ربه ومحبته، كان سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سأله أعطاه، وإن استعاذ به أعاذه... وما كان للعبد أن ينال تلك المنزلة عند ربه إلا بسموه الروحى ورفعة قدره عند ربه.

ولكى نصل بعون الله، نحن وأبناؤنا، إلى تلك المنزلة، علينا أن نتلمس طريق السمو الروحى ونسلكه، وأن نربى أنفسنا وأبناءنا على ذلك... ولعل هذا ما سيتناوله الفصل الحالى، تحت عنوان:"تعويد الأبناء مداومة ذكر الله والتقرب إليه"، وذلك فى ثلاث نقاط، هى:

- تعويد الأبناء مداومة ذكر الله فى كل المواقف.
- التعرف على الله لتحقيق محبته.
- التقرب إلى الله لنيل محبته.

أولاً: تعويد الأبناء مداومة ذكر الله فى كل المواقف:

إن من عوامل السمو الروحى وأسبابه مداومة ذكر الله. فمن داوم على ذكر الله صفت نفسه ورق قلبه وسمت روحه... كما أن فى مداومة ذكره سبحانه دليل على محبته. فمن أحب شيئًا داوم على ذكره... وفى مداومة ذكره سبحانه سبب لامتثال أمره واجتناب نهيه، وسبب لزيادة القرب منه سبحانه وتوثيق الصلة به عز وجل.

وقد أمرنا سبحانه بمداومة ذكره وتسبيحه فى كل وقت وحين، فقال: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾(الروم:١٧-١٨)... فأمرنا بذكره صباح مساء، وفى العشية وفى الظهيرة، وهل من أوقات سوى

هذه الأوقات؟... وأمرنا بذكره أيًّا ما نكون، فى الأرض أو فى السماء. وهل من أماكن سوى هذه الأماكن؟... فنذكره سبحانه فى كل وقت وحين، ونذكره سبحانه على كل الأحوال والأوضاع: واقفين وجالسين وراقدين وعلى جنوبنا... ونذكره باللسان وبالقلب وبالعقل والفكر... قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ...﴾(آل عمران:١٩١).

كما أمرنا رسول الله ﷺ بمداومة ذكر الله، فقال: (لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله)[٢٨].

وذكر الله إنما يكون بأسمائه وصفاته، ويكون بالتسبيح والتهليل، وبالحمد والشكر، وبالدعاء والاستغاثة، وبالتوبة والاستغفار، وبنحو ذلك... وذكره إنما يكون باللسان وبالقلب، وبالعقل والفكر، وبكل الجوارح.

فضل ذكر الله:

لذكر الله فضل كبير... بل انظر إلى عظيم الأجر وجزيل الثواب مع الوقاية من عذاب النار لأولئك الذاكرين الله كثيرًا، حيث قال وقوله الحق: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ إلى أن قال: ﴿...وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا﴾(الأحزاب:٣٥). وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران:١٩١).

كما بين لنا رسول الله ﷺ فضل ذكر الله عز وجل،. فعن أبى موسى ﷺ، قال: قال النبى ﷺ: (مثل الذى يذكر ربه، والذى لا يذكر ربه، مثل الحى والميت)[٢٩]. وعن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله، تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم- وهو أعلم منهم- ما يقول عبادى؟ قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأونى؟ قال: فيقولون: لا، والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأونى؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وتحميدًا، وأكثر لك تسبيحًا. قال: يقول: فما يسألونى؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم إنى قد

غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)[٣٠].

لذلك، جاءت وصيته لنا ﷺ بمداومة ذكر الله، حيث قال: (لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله)[٣١].

ولذلك... فعلى الآباء والمربين تعويد أنفسهم على مداومة ذكر الله، تحقيقًا لسموهم الروحى وقربهم من المولى عز وجل، وتحقيقًا للقدوة الحسنة التى يتأسى بها الأبناء والمتربون... كما أن عليهم أن يعودوا هؤلاء الأبناء والمتربين على مداومة ذكر الله ليسموا الأبناء والمتربون روحيًّا، ومع سمو الأبناء والمتربين روحيًّا يحصل الخير ويعم، وفى مقابل ذلك، للآباء والمربين نصيب من الخير، لأن الدال على الخير كفاعله، ولأن من سن سنة حسنة وأعان عليها فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين.

أمثلة لذكر الله نعوّد الأبناء عليها:

من الأمثلة التى يعود الأبناء من خلالها على مداومة ذكر الله سبحانه وتعالى فى مختلف المواقف والأحوال، ما يلى:

- تعويده ذكر الله عند الأكل والشرب، بأن يقول: (بسم الله)، أو يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم)، لما رواه عمر بن أبى سلمة، حيث قال: كنت غلامًا فى حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدى

تطيش فى الصحفة، فقال لى رسول الله ﷺ: (يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك...)[٣٢]. ولقول رسول الله ﷺ: (إن الشيطان يستحل الطعام إن لم يذكر اسم الله عليه)[٣٣].

- تعويده ذكر الله عند انتهائه من الأكل والشرب، بقوله: (الحمد لله)[٣٤]، أو بقوله: (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا...)[٣٥].
- تعويده ذكر الله عند بداية كل عمل، بأن يقول: (بسم الله)، أو يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم). لقول رسول الله ﷺ: (كل عمل لا يبدأ باسم الله فهو أبتر)- أى ناقص.
- تعويده ذكر الله حين يأوى إلى فراشه، فيقول: (استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه- ثلاث مرات)[٣٦]
- تعويده ذكر الله حين يصبح، فيقول: (اللهم بك أصبحنا..)[٣٧].
- تعويده ذكر الله حين يمسى، فيقول: (أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له)[٣٨].
- ويذكر الله بعد صلاته، حيث: (يسبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، ويحمده ثلاثًا وثلاثين، ويكبره أربعًا وثلاثين)[٣٩].
- ويذكر الله عند خروجه من المنزل بدعاء الخروج: (بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله)[٤٠].

- ويذكر الله عند دخوله المنزل بدعاء دخول المنزل، فيقول: (ما شاء الله، لا قوة إلا بالله).
- ويذكر الله عند مقابلته للآخرين، برده السلام عليهم بقوله: (السلام عليكم) والرد على سلام الآخرين له بقوله: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته).
- ويذكر الله عند سفره بدعاء السفر، فعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر، كبر الله ثلاثًا، ثم قال: ﴿سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(الزخرف:١٣-١٤). ثم يقول: (اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده. اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل)[٤١].
- ويذكر الله إذا رجع من السفر، بأن يقول دعاء السفر مع الزيادة عليه بقوله: (آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون)[٤٢].
- ويذكر الله عند رؤيته صاحب بلاء، امتثالًا لما أوصى به رسول الله ﷺ حيث قال: (من رأى صاحب بلاء، قال: الحمد لله الذى عافانى...)[٤٣].

- ويذكر الله فى السراء والضراء، بقوله: (الحمد لله، والشكر لله).
- ويكرر ذكر الله بأعظم أنواع الذكر: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).
- وأشمل أنواع الذكر، ألا يغيب الله عنك فى كل أعمالك، ظاهرها وباطنها.

ثانيًا: التعرف على الله لتحقيق محبته:

كلما تعرف الآباء والمربون على الله، وعرفوا الأبناء والمتربين به وبقدسيته وبعظمته، وبأسمائه وصفاته، زاد إيمانهم به، وزاد حبهم له، وبدت آثار حبهم هذا فى جميع أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم، وانعكس بالتالى هذا الحب إلى حب لمخلوقاته سبحانه... فمعرفة الله أساس لمحبته، ومحبته تعالى أساس لسمونا الروحى، أى أساس لتحويلنا إلى أرواح لطيفة لا يصدر عنها شر ولا عدوان، وزاد يصل بنا إلى حب كل شىء فى الوجود، حين نتمثل العالم كله من صنع المحبوب.

وإذا كان الإيمان بالله هو عماد الحياة الروحية، إلا أن هذا الإيمان لا يتأتى فقط من الاعتقاد بأن هناك إلهًا مهيمنًا ومسيطرًا على هذا العالم وعلى كل ما فيه وكل ما فى الكون، ولكن بمعرفة قدسية الله وعظمته، وظهور آثار هذا الإيمان بالأعمال الصالحة التى تصدر عنه.

فالإيمان بالله وحسن الصلة به ومحبته يطلق النفس من قيودها

المادية، فتسمو على الشهوات ولا تبالى بالمنافع والمضار الخاصة، فيسعى الإنسان لنفسه ولأمته وللناس جميعًا ضمن قوانين الحق العامة وسنن الخير الشاملة[٤٤]، وتترجم تلك الصلة الطيبة بالله تعالى إلى صلات طيبة بالبشر وبكل المخلوقات ومحبتها.

أمثلة للتعرف على الله:

يمكن ذكر بعض الأمثلة، متضمنة بعض النصائح التربوية، لتحقيق التنمية الروحية والسمو الروحى، بالتعرف على الله وتوطيد الصلة به سبحانه، من خلال معرفة أسمائه وصفاته، وهى كما يلى:

المثال الأول: التعرف على صفة (الرحمة)، لأنه هو (الرحمن)، وهو (الرحيم). قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(الفاتحة:٢-٣)، و(الرحمن) أى المنعِم بجلائل النعم، و(الرحيم) أى الرفيق بخلقه[٤٥]، والرحمن والرحيم اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التى وسعت كل شىء وعمت كل مخلوق، والنعم كلها من آثار رحمته. قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(الأعراف:١٥٦). فرحمته وسعت كل شىء، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله.

هؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة، لأنه هو الذى دفع هذه الرحمة وأباها بتكذيبه للخير وتوليه عن الأمر فلا يلومن إلا نفسه[٤٦].

ولعل من آثار تعرف العبد على واسع رحمة الله وعظيم فضله، التقرب إليه سبحانه وتوثيق الصلة به والتمسك بحبله المتين، ليكون من المتقين الفائزين بواسع رحمة الرحمن الرحيم.

المثال الثانى: التعرف على صفة (القدرة)، لأنه (القادر)، وقدرته لا يعجزها شيء فى الأرض ولا فى السماء، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىء قَدِيرٌ﴾(الملك:١)... فتعرف أيها العبد الضعيف على قدرة القادر اللامتناهية، من خلال تأملك لأبسط مخلوقات الله (الذبابة)، التى لا تستطيع البشرية بأجمعها خلقها، وهذا ما صوره القرآن بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾(الحج:٧٣).

ولعل من آثار التعرف على قدرته تعالى التى لا تقف عند حد، مع معرفة المرء لقدرته المحدودة، هو تقرب المرء وتذلله للقادر الحقيقى وصاحب القدرة الحقيقية سبحانه وتعالى، والحرص على طاعته والامتثال لأمره، والركون إليه وحده عز وجل.

المثال الثالث: التعرف على صفة (الهداية)، لأنه (الهادى) الذى تطلب منه الهداية. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * إهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ...﴾(الفاتحة:٢-٦). ولأنه (الهادى) الذى هدى خلقه

لما يناسبه وينفعه. فهو كما قال سبحانه: ﴿رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىء خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:٥٠)، أى هداه وأرشده إلى ما ينفعه ويناسب خلقته.

فانظر متأملًا إلى الطفل الوليد بعد ولادته، ماذا يفعل لو حس بحلمة الثدى أو بإصبع يلامس شفتيه؟ إنها الغريزة الفطرية التى هداه الهادى إليها ليهتدى بها فيلتقم الحلمة ويسارع فى المص ليحصل على غذائه ليعيش ويكمل حياته...

وانظر إلى وليد الحيوان، الذى يقف على أقدامه بعد بضعة دقائق من ولادته، ويتجه أول ما يتجه إلى الرضاعة... ولكن أين يتجه؟ أيتجه إلى البحث عن الرضاعة فى الأرض عند حوافر أمه؟ أم يتجه باحثًا عنها عند رأس أمه؟ أم عند رقبتها؟ أم يتجه باحثًا عن ضرع أمه مباشرة عند مؤخرتها؟. وهذا الأخير هو ما يحدث فى الواقع ودون أدنى محاولات خاطئة... فسبحان الهادى الذى هداه بهدى فطرى يضمن له البقاء...

وانظر إلى ذلك الكتكوت الذى يخرج لتوه من البيضة، هل يبحث عن غذائه من خلال محاولات يائسة للرضاعة من أمه؟... لا... إنه بعد أن يقف على قدميه ويبدأ فى الحركة، يبدأ فى النقر بمنقاره فى الأرض باحثًا عن طعام... فسبحان الخالق الهادى الذى هداه إلى

ذلك... وسبحان الخالق الهادى الذى هدى خلقه إلى ما ينفعه ويناسب خلقته.

ولعل من آثار التعرف على هدى الهادى لمخلوقاته، والذى منه ما هو فطرى للإنسان والحيوان، ومنه ما خص به الإنسان فأرسل رسالاته السماوية ليهتدى بها البشر، مثل ذلك يجعل الإنسان واثقًا من هديه سبحانه، وطائعًا له، ممتثلًا لأمره، ومجتنبًا بنهيه حتى ولو تعارض ذلك مع رغباته وشهواته ومتطلباته المادية، فيسمو بذلك روحيًّا.

المثال الرابع: التعرف على صفات (الكرم)، و(الوهب)، و(العطاء)، لأنه (الكريم) و(المعطى) و(الوهاب)، الذى يعطى ويهب ما يشاء لمن يشاء ومتى شاء... فهو سبحانه الوهاب الذى يهب الذرية، وهو سبحانه الوهاب الذى يهب الرزق ويعطيه، وقدرته سارية فى تيسير الرزق وتيسير أسبابه، وقدرته سارية فى خلق الذكور والإناث، فلا داعى للالتجاء إلى آلهة من دون الله، أو الارتماء فى أحضان الدجالين والمشعوذين للحصول على الولد أو لفك النحس أو الحصول على الرزق، فهو سبحانه كما قال فى كتابه العزيز: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(الشورى:٤٩-٥٠). وهو سبحانه المتكفل بأرزاق العباد وكل المخلوقات: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾(هود:٦).

المثال الخامس: التعرف على (حياته) وعلى (قيوميته)، لأنه سبحانه هو (الحى) الذى لا تشبه حياته حياة مخلوقاته، ولأنه تعالى (القيوم) الذى يقوم على تدبير وإدارة شئون الكون، وحده لا شريك له. فهو مصدر الحياة وهو واهبها لكل حى، فيتحتم عقلًا أن يكون متصفًا بالحياة فى أكمل صورها، وحياته خالدة لا يلحقها فناء ولا حتى نعاس ولا نوم، حيث قال وقوله الحق: ﴿اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَى الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ...﴾(البقرة:٢٥٥).

وحياته سبحانه لا تحتاج إلى طعام كالكائنات الحية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:١٤).

بهذه الآية قطع الإسلام الطريق على الكهنة الوثنيين، الذين يأمرون أتباعهم بتقديم القرابين والذبائح للإله أو الآلهة، فلا قرابين ولا ذبائح تقدم للمعابد يستفيد منها الكهنة وحدهم لأن الله لا يأكل، بل حتى لا تذبح الذبائح على النصب، ولا تنذر النذور لأصحاب القبور، وبهذه الحقيقة الواضحة التى أعلنها القرآن حرر الإنسان من هذه الأباطيل التى انتشرت فى كثير من الشعوب قديمًا، والتى لا يزال البعض يفعلها حتى الآن، هادرين بذلك أموالهم وإنتاجهم عبثًا، بل ومنحرفين فى

صلتهم الروحية، من اتصالهم بالله (الحى) (القيوم) إلى مخلوقات الله، حية كانت- حياة مؤقتة- أو فى أضرحتها.

وهكذا التعرف على كل صفاته وأسمائه سبحانه... فهو (الرحمن) أى المنعم بجلائل النعم، وهو (الرحيم) أى الرفيق بخلقه، وهو (السلام) أى واهب السلام، وهو (الغفار) أى كثير المغفرة، وهو (اللطيف) أى الذى اجتمع رفقة ولطفه فى فعله وتدبيره، وهو (الشكور) أى الذى يثنى- رغم عظمته- على من أطاعه رغم حقارته. وهو (مالك الملك) أى الذى له التصرف المطلق فى ملكه. وهو (المهيمن) أى المطلع والمسيطر على مخلوقاته، وهو (الكريم) أى الذى يعطى ولا يبخل ولا يبالى كم أعطى، وهو (المجيب) أى الذى يقدر على تلبية كل من دعاه ولا يسأم من إلحاح الطالبين، وهو (التواب) أى الذى يهب أسباب التوبة ويقبلها، وهو (الودود) أى كثير الود لعباده يدنى من تقرب إليه[٤٧]، رغم غناه وعدم حاجته لغيره سبحانه.

ومن ثم يتعرف العبد على معبوده، ويحرص على الاتصال به فى كل الأمور، حيث يستمد القوة من القوى الحقيقى، ويستمد الحفظ من الحفيظ الحقيقى، ويستمد الرزق من الرزاق الحقيقى سبحانه، ويستمد العون والنصر من المعين الحقيقى والناصر الحقيقى عز وجل، ويستمد الهداية من الهادى الحقيقى، ويستمد العفو والعافية والتوبة والمغفرة وكل ما اتصف به سبحانه منه وحده لا شريك له.

ولعل من آثار التعرف على صفاته هذه وتلك، زيادة محبته وزيادة القرب منه وتوطيد الصلة به سبحانه، واللجوء إليه فى كل المواقف والملمات، ومن ثم دوام الاتصال به وتحقيق السمو تلو السمو الروحى.

ثالثًا: التقرب إلى الله لنيل محبته:

متى تقرب العبد إلى ربه نال من رضاه سبحانه حتى يحبه، وإذا أحبه صار عبدًا من عباد الله الصالحين ووليًّا من أوليائه... فعن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لى وليًّا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه. وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، وإن استعاذنى لأعيذنه. وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته)[٤٨].

ومتى أحب الله عبدًا، غرس له المحبة فى قلوب العباد، ووضع له القبول فى الأرض... فعن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل عليه السلام، فقال: إنى أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول فى الأرض، وإذا أبغض

الله عبدًا، دعا جبريل، فيقول: إنى أبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا، فأبغضوه. قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء فى الأرض)[٤٩].

وهناك ما يصعب حصره- إن لم يستحيل- من الأسباب التى تجلب محبة الله وتحقق السمو الروحى، فاتباع كل ما أمر به الله ورسوله وكل ما يرضيه، واجتناب كل ما نهى عنه ورسوله، يحقق محبته ويحقق السمو الروحى؛ لأن محبة الله باتباع أمره وأمر رسوله واجتناب نهيه ونهى رسوله، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُّ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(آل عمران:٣١).

ويمكن الإشارة- هنا- إلى بعض هذه الأسباب التى ينال بها العبد محبة الله، وذلك مثل:

- إن الله يحب المحسنين. لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(البقرة:١٩٥). وقوله عز وجل: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(المائدة:١٣).
- إن الله يحب التوابين. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾(البقرة:٢٢٢).
- إن الله يحب المتطهرين. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(البقرة:٢٢٢). وقوله سبحانه: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُّ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(التوبة:١٠٨).

- إن الله يحب المتقين. لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران:٧٦).
- إن الله يحب المتوكلين. قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:١٥٩).
- إن الله يحب الصابرين. قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِى قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(آل عمران: ١٤٦).
- إن الله يحب المقسطين العادلين. قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(المائدة:٤٢). وقال سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىء إِلَى أَمْرِ اللّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الحجرات:٩).
- إن الله يحب المجاهدين فى سبيله. قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(الصف:٤).
- إن الله يحب المتواضعين ولا يحب المستكبرين. قال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ

يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(النحل:٢٢-٢٣). وقال سبحانه: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(لقمان:١٨).

- إن الله يحب الملتزمين المعتدلين ولا يحب المعتدين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَّ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾(البقرة:١٩٠). وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَّ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(المائدة:٨٧).
- إن الله يحب المصلحين ولا يحب المفسدين. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُّ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(القصص:٧٧). وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُّ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٥).
- إن الله يحب المؤمنين ولا يحب الكافرين. قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللهَّ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(آل عمران:٣٢). وقال سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(الروم:٤٥).

- إن الله يحب الأمناء المؤتمنين ولا يحب الخائنين. قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾(الأنفال:٥٨). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(الحج:٣٨).
- إن الله يحب المعتدلين ولا يحب المسرفين، قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأنعام:١٤١). وقال سبحانه: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأعراف:٣١).
- إن الله يحب العادلين المصلحين ولا يحب الظالمين، قال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(الشورى:٤٠).
- إن الله يحب المتقربين إليه بالنوافل، لقوله فى الحديث القدسى الذى رواه أبو هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى قال: من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه...)[٥٠].

وهكذا... فإن الله يحب الفاعلين لكل خير، التاركين لكل شر ابتغاء لمرضاته، فيحب الصادقين، ويحب البارين بآبائهم، ويحب

الواصلين لأرحامهم، ويحب المتصدقين، ويحب المصلحين، ويحب المتدبرين للقرآن، والمتدبرين لنعمه والشاكرين له على ما أنعم، ويحب مجالسة الصالحين وأهل الخير والصلاح... وبالجملة إن الله يحب الحريصين على فعل ما يرضيه، والمجتنبين لكل ما لا يرضيه والتاركين لكل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل من الشواغل.

obeikandl.com

هوامش الفصل الثالث

(٢٨) الترمذى (٣٣٧٥).
(٢٩) البخارى (٥٩٢٨).
(٣٠) البخارى (٥٩٢٩)، مسلم (٢٦٨٩).
(٣١) الترمذى (٣٣٧٥).
(٣٢) البخارى (٤٩٥٧)، مسلم (٢٠٢٢).
(٣٣) مسلم (٢٠١٧).
(٣٤) البخارى (٥٠٣٧).
(٣٥) مسلم (٢٧١٥).
(٣٦) الترمذى (٣٣٩٧).
(٣٧) الترمذى (٣٣٩١).
(٣٨) الترمذى (٣٣٩٠).
(٣٩) الترمذى (٣٤١٢).
(٤٠) الترمذى (٣٤٢٦).
(٤١) مسلم (١٣٤٢).
(٤٢) مسلم (١٣٤٢).
(٤٣) الترمذى (٣٤٣١).

obeikandl.com

(٤٤) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٧٢.

(٤٥) المرجع السابق، ص١١٢.

(٤٦) سعيد بن وهف القحطانى: **شرح أسماء الله الحسنى فى ضوء الكتاب والسنة**، شبين الكوم، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٢١٦.

(٤٧) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١١٢.

(٤٨) البخارى (٦٠٢١).

(٤٩) أ- مسلم (٢٦٣٧).

ب- **الأحاديث القدسية**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، حديث(٧٧).

(٥٠) البخارى (٦٠٢١)، الأحاديث القدسية (٨١).

obeikandl.com